1. "هَذَا المِسكِينُ صَرَخَ، وَالرَّبُّ اسْتَمَعَهُ" (مز ٣٤، ٧). تصبح كلمات صاحب المزمور كلماتنا إذ قد دعينا نحن أيضًا للقاء مختلف أنواع الألم والتهميش التي يعيش فيها العديد من الإخوة والأخوات الذين اعتدنا أن نشير إليهم بكلمة "فقراء". ". إن الذي يكتب هذه الكلمات ليس غريبًا عن هذه الحالة بل يختبر الفقر بشكل مباشر ويحوله إلى نشيد تسبيح وشكر للرب. اليوم أيضاً يسمح لنا هذا المزمور، نحن المنغمسون في العديد من أشكال الفقر، أن نفهم من هم الفقراء الحقيقيون الذين نحن مدعوون إلى سماع صراخهم وتحديد إحتياجاتهم. يقال لنا أولاً أنّ الرب يصغي إلى الفقراء الذين يصرخون إليه وهو صالح مع الذين يبحثون عن ملجأ فيه بقلوب منسحقة من الحزن والوحدة والإقصاء. هو يصغي إلى الذين يُنتهكون في كرامتهم، ومع ذلك، يملكون القوّة لكي يرفعوا نظرهم نحو العلى لكي ينالوا النور والعزاء. يصغي إلى الذين يُضطهدون باسم العدالة الزائفة ومن قبل سياسات لا تستحق هذا الإسم، ويتمّ ترهيبهم بالعنف؛ ومع ذلك يعرفون أن الله هو مخلّصهم. ما يتجلى من هذه الصلاة في المقام الأول هو شعور الإستسلام والثقة في أب يصغي ويرحّب. هذه الكلمات تمكّننا من الفهم بشكل أعمق ما أعلنه يسوع في إحدى التطويبات "طوبى للفقراء بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات" (متى 5، 3).

هناك رغبة في مشاركة الآخرين هذه التجربة الفريدة من نوعها، والتي هي بطرق عديدة غير مستَحقّة ومن المستحيل التعبير عنها بشكل كامل، خاصة مع أولئك الذين هم مثل صاحب المزمور، فقراء ومرفوضين ومهمّشين. في الواقع، لا يمكن لأحد أن يشعر أنه مستبعد من محبة الآب، وخاصة في عالم غالباً ما يرفع المال الى المرتبة الأولى من أهدافه ويدفع الى الإنغلاق على الذات.

2. يصف المزمور بثلاثة أفعال موقف الفقراء وعلاقتهم مع الله. أولاً وقبل كل شيء فعل " صرخ ". إن وضع الفقر لا يُعبّر عنه بكلمة واحدة ، ولكنّه صرخة تخترق السماء لتصل إلى الله. فعمّ تعبّر صرخة الفقراء إن لم يكن عن معاناتهم ووحدتهم ، وخيبة أملهم وأملهم؟ يمكننا أن نسأل أنفسنا: كيف يمكن لهذه الصرخة التي تصل إلى الله ، ألا تصل إلى آذاننا وأن تتركنا غير مبالين وفاقدي الشعور؟ في يوم كهذا، نحن مدعوون للقيام بفحص ضمير جدّي لنفهم إن كنّا قادرين فعلاً على الإصغاء للفقراء. إنَّ صمت الإصغاء هو ما نحتاج إليه لكي نتعرّف على صوتهم. إذا تحدثنا كثيرًا ، فلن نتمكن من الإصغاء إليهم. في كثير من الأحيان، أخشى أن العديد من المبادرات، الجديرة والضرورية، يتمّ توجيهها لإرضاء أنفسنا بدلاً من التعرّف الفعلي على صرخة الفقراء. في هذه الحالة ، عندما يطلق الفقراء صراخهم ، تكون ردة الفعل غير متناسبة ، غير قادرة على التوافق مع حالتهم. لقد أصبحنا عالقين الى درجة كبيرة في فخّ ثقافة تجبرنا على النظر في المرآة والعناية بأنفسنا، كما وتدعنا نعتبر أن مجرد القيام بحركة تظهر المحبة للغير يمكن أن يكفي للإرضاء، دون الحاجة إلى المشاركة بشكل مباشر.

3. الفعل الثاني هو " يجيب". إن الرب، يقول صاحب المزمور، لا يصغي فقط إلى صرخة الفقراء بل يجيب. وجوابه كما يؤكِّد تاريخ الخلاص بأسره، هو مشاركة مفعمة بالحب لحالة الفقراء. هكذا كان الأمر عندما عبّر إبراهيم لله عن رغبته في الحصول على ذريّة بالرغم من أنّه وزوجته سارة كانا طاعنين في السن ولم يكن لديهما أبناء (راجع سفر التكوين 15: 1-6). وهذا ما حصل أيضًا عندما نال موسى من خلال نار في عليّقة كانت تشتعل بدون أن تحترق وحي الاسم الإلهي ومهمّة إخراج الشعب من مصر (راجع سفر الخروج 3: 3-15). وقد تأكّد هذا الجواب طوال مسيرة الشعب في الصحراء: عندما شعر الشعب بآلام الجوع والعطش (راجع خروج 16: 1-16؛ 17: 1-7)، وعندما سقط في أسوأ وأعظم خطيئة، ألا وهي خيانة العهد وعبادة الأصنام (راجع سفر الخروج 32: 1-14).

إن جواب الله للفقراء هو على الدوام تدخّل خلاصي لشفاء جراح النفس والجسد وليعيد العدالة وليساعد على استعادة الحياة بكرامة. إنَّ جواب الله هو أيضًا نداء لكي يتمكّن من يؤمن به أن يتصرّف مثله ضمن محدودية الكائن البشري. وبالتالي يريد اليوم العالمي للفقراء أن يكون جوابًا صغيرًا يتوجّه من الكنيسة بأسرها، المنتشرة في العالم، إلى الفقراء من كلِّ نوع ومن كلِّ أرض لكيلا يعتقدوا أن صرختهم قد ذهبت سدى. لربما كان هذا اليوم مثل قطرة ماء في صحراء الفقر؛ ومع ذلك يمكن أن يكون علامة للدلالة على مشاركة المحتاجين، لكي يشعروا بالوجود الفعّال لأخ وأخت. إن الفقراء لا يحتاجون إلى فعل تفويض، بل إلى المشاركة الشخصية لأولئك الذين يصغون إلى صراخهم. لا يمكن أن يقتصر إهتمام المؤمنين على شكل من أشكال المساعدة - على الرغم من كونه ضروريًا وملائمًا في البداية - ولكنه يتطلّب "إهتمام الحب" (الإرشاد الرسولي فرح الإنجيل، 199) الذي يكرّم الآخر كشخص ويبحث عن مصلحته.

4. الفعل الثالث هو " حرّر ". إن الفقراء في الكتاب المقدس يعيشون مع اليقين بأن الله يتدخّل لصالحهم ليعيد إليهم كرامتهم. لا أحد يبحث عن الفقر، بل تخلقه الأنانيّة والعجرفة والجشع والظلم. هذه شرور قديمة من قِدَم الإنسان ، لكنها لا تزال خطايا تشمل العديد من الأبرياء ، مما يؤدي إلى عواقب إجتماعية دراماتيكية. إن العمل الذي يحرّر الرب من خلاله هو فعل خلاص للذين قد أظهروا له حزنهم وبؤسهم. إن قوّة الله تكسر سجن الفقر والعديد من المزامير تحتفل وتخبر عن تاريخ الخلاص هذا الذي يجد جوابًا في حياة الفقراء الشخصية: "لِأَنَّهُ لَمْ يَحْتَقِرْ وَلَمْ يُرْذِلْ مَسكَنَةَ المِسكِينِ، وَلَم يَحجُب وَجهَهُ عَنهُ، بَلْ عِندَ صُرَاخِهِ إِلَيهِ استَمَعَ" (مز ٢٢، ٢٤ وبالتالي فالتأمّل في وجه الله هو علامة لصداقته وقربه وخلاصه. " إِذِ التَفَتَّ إِلَى مُعاناتِي وَأدرَكْتَ

ضِيقِي" (مز 31: 8). " صِرْتُ وَكَأَنِّي أَقِفُ عَلَى جَبَلٍ ثابِتٍ."(مز 30: 8). إن تقديم "مكان واسع" للفقراء هو عبارة عن تحريرهم من " الفخّ " (مز 91: 3) ، إنقاذهم من الفخّ الموجود في طريقهم، كي يمشوا بسرعة وينظروا إلى الحياة بعيون هادئة. ولذلك يأخذ خلاص الله شكل يد ممدودة نحو الفقراء تقدّم الاستقبال وتحمي وتسمح لهم بالشعور بالصداقة التي يحتاجون إليها، ومن هذا القرب الواقعي والملموس بالتحديد تنطلق عمليّة التحرير الحقيقيّة : "كل مسيحي وكل مجتمع مدعوّون ليكونوا أدوات الله لتحرير وتشجيع الفقراء ، كي يتمكنوا من الدمج الكامل في المجتمع؛ هذا يفترض أن نكوم طيّعين وأن نتنبّه للاستماع إلى صراخ الفقراء ومساعدتهم "(الإرشاد الرسولي فرح الإنجيل ، 187).

5. أتأثر لمعرفتي أن العديد من الفقراء قد تماثلوا ببرطيماوس الذي يحدّثنا عنه الإنجيلي مرقس (راجع مر 10: 46-52). كان برطيماوس الأعمى "جالِساً عَلَى جانِبِ الطَّرِيقِ يَتَسَوَّلُ" (الآية 46) ، فلمَّا سَمِعَ بِأَنَّ يسوع عابر من هناك " أَخذَ يَصيح " ويتوسّل " ابْنَ داوُدَ " لكي يرأف به (راجع الآية 47). " فَوَبَّخَهُ كَثيرونَ وَأَمَرُوهُ بِأَنْ يَسكُتَ، لَكِنَّهُ رَفَعَ صَوتَهُ أَكثَرَ" (الآية 48) . وإذ سمع ابن الله صراخه قالَ له: "ماذا تُريدُ أَن أَصنَعَ لكَ؟"، فأجابه الرجل الأعمى: " رابُوني، أَن أُبصِر " (الآية 51). إن هذا المقطع من الإنجيل يجعل وعد المزمور مرئيًّا. برطيماوس هو فقير محروم من القدرات الأساسيّة، مثل البصر وإمكانية العمل. كم من المسارات تقود اليوم أيضًا إلى شكل من أشكال الفقر ! مثل الإفتقار إلى الوسائل الأساسية للعيش، التهميش عندما لا يعود باستطاعة الفرد العمل بكامل قوّته، أشكال العبودية الإجتماعية المختلفة، على الرغم من التقدم الذي أحرزته البشرية ... وكم من الفقراء على مثال برطيماوس يجلسون اليوم على جانب الطريق ويبحثون عن معنى لحالتهم! كم من الأشخاص يتساءلون حول السبب الذي جعلهم يصلون إلى عمق هذه الهاوية وحول الطريقة للخروج منها منتظرين من يقترب منهم ويقول لهم: "تَشَدَّدْ وقُم فإِنَّ يسوع يَدْعوك."! (الآية 49).

لسوء الحظ، ما يتأكد غالباً، هو عكس ذلك، إذ أن الأصوات التي يتمّ سماعها هي أصوات اللوم والدعوة إلى الصمت والتحمّل. إنها أصوات غير متناغمة، وغالباً ما يحدّدها رهاب الفقراء، الذين لا يعتبرون مجرد أشخاص معوزين فحسب، بل أيضاً كأشخاص يهدّدون الأمن والاستقرار ويسبّبون الارتباك في العادات اليومية؛ وبالتالي، يجب رفضهم وإبعادهم. هناك ميل إلى وضع مسافة بيننا وبينهم، دون أن ندرك أننا بهذه الطريقة نبتعد عن الرب يسوع، الذي لا يرفضهم بل يدعوهم إليه ويواسيهم. كم يدوّي بشكل مناسب في هذه الحالة كلام النبي عن نمط حياة المؤمن: "أنْ تَفُكَّ قُيُودَ الظُّلمِ، وَتَحُلَّ حِبالَ الضِّيقِ عَنِ النّاسِ. أنْ تُحَرِّرَ المَظلُومَ، وَتَكسِرَ قُيودَ الاستِعْبادِ[...]

أنْ تُعطِيَ مِنْ خُبزِكَ لِلجائِع،[...]] وَتَأوِي المَساكِينَ المُشَرَّدِينَ فِي بَيتِكَ،[...] تَرَى عُرياناً فتَسترُهُ" (إشعياء 58: 7). تسمح هذه الطريقة في التصرّف بأن تغفر الخطايا (راجع 1 بطرس 4: 8) ، أن تتابع العدالة مسارها، وعندما نصرخ نحن إلى الرب، سوف يجيب ويقول: هأنَذا! (راجع أشعياء 58 : 9).

6. الفقراء هم أول من يشعر بحضور الله ويقدّمون الشهادة لقربه في حياتهم. إنَّ الله يبقى أمينًا، وحتى في ظلام الليل لا يغيب أبدًا دفء محبّته وتعزيته. مع ذلك ولتخطّي وضع الفقر الفادح من الأهميّة بمكان أن يشعر الفقراء بحضور إخوة وأخوات يقلقون عليهم وإذ يفتحون لهم باب القلب والحياة يجعلونهم يشعرون بأنّهم أصدقاء وأقارب. بهذه الطريقة فقط يمكننا اكتشاف "القدرة الخلاصية لحياتهم" و"وضعها في وسط حياة الكنيسة" (الإرشاد الرسولي فرح الإنجيل، 198).

في هذا *اليوم العالمي* نحن مدعوّين لنجسِّد كلمات المزمور: "يَأكُلُ الوُدَعَاءُ وَيَشبَعُونَ" (مز ٢٢، ٢٧).. نعرف أنّه وبعد رتبة التضحية في هيكل أورشليم كانت تقام مأدبة كبيرة. وهذه الخبرة العام الماضي قد أغنت في العديد من الأبرشيات الإحتفال *باليوم العالمي الأول للفقراء*، إذ وجد كثيرون دفء بيت وفرح وجبة عيد وتضامن أولئك الذين أرادوا أن يتقاسموا المائدة في أسلوب بسيط وأخوي. أريد أيضًا أن يتمَّ الاحتفال بهذا اليوم في هذه السنة وفي المستقبل تحت شعار الفرح من أجل استرجاع القدرة على الإقامة معًا؛ الصلاة معًا ضمن الجماعة ومشاركة وجبة يوم الأحد. إنها تجربة تعيدنا إلى الجماعة المسيحية الأولى، كما يصفها الإنجيلي لوقا بكل أصالة وبساطة: " وَكانُوا مُنْشَغِلينَ بِتَعلِيمِ الرُّسُلِ، وَالشَّرِكَةِ، وَكَسْرِ الخُبزِ وَالصَّلَواتِ [...] وَكانَ كُلُّ المُؤمِنِيْنَ يَجتَمِعُونَ مَعاً وَيَتَشارَكُونَ فِي كُلِّ ما يَملِكُونَهُ. باعُوا أملاكَهُمْ وَمُقتَنَياتِهِمْ، وَوَزَّعُوا ثَمَنَها عَلَى الجَمِيعِ، كُلِّ واحِدٍ حَسَبَ احتِياجِهِ." (*أعمال* 2: 42، 44، 45).

7. كثيرة هي المبادرات التي تقوم بها الجماعة المسيحيّة يوميًّا لكي تقدّم علامة قرب وتعزية للعديد من أشكال الفقر الموجودة أمامنا. وغالبًا ما تتمكّن المساهمة مع وقائع أخرى يحرّكها التضامن البشري من تقديم مساعدة لا يمكننا أن نحققها وحدنا. إدراكنا أنه في عالم الفقر الهائل، حتى تدخّلنا المحدود والضعيف وغير الكافي، يؤدي إلى مد يد العون إلى الآخرين، بحيث يمكن للتعاون المتبادل أن يصل إلى الهدف بشكل أكثر فعالية. رغم تأثرنا بالإيمان وبحتمية أعمال المحبة، بإمكاننا التعرّف على أشكال أخرى من المساعدة والتضامن تعمل جزئياً على تحقيق ذات الأهداف؛ طالما أننا لا نهمل ما هو خاصّ بنا ، ألا وهو أرشاد الجميع إلى الله وإلى القداسة. إن

الحوار بين الجماعات ذات التجارب المختلفة وتواضع الإقتناع بتعاوننا ، دون أي نوع من النزعة، هو الإستجابة الإنجيليّة الملائمة والكاملة التي يمكننا تحقيقها.

أمام الفقراء ، لا يتعلّق الأمر بمن يحقُّ له بأولويّة التدخّل، وإنما يمكننا أن نعترف بتواضع أنَّ الروح القدس هو الذي يولّد تصرفات تشكّل علامة لجواب الله وقربه. وبالتالي عندما نجد الأسلوب الملائم لنقترب من الفقراء ، نعلم أن الأولويّة هي له (للروح)، الذي فتح عيوننا وقلوبنا على الإرتداد. الفقراء لا يحتاجون لمظاهر وتباهي وإنما لحب يعرف كيف يختبئ وينسى الخير الذي قدّمه. الرواد الحقيقيّين في هذا الإطار هم الرّب والفقراء. وبالتالي فالذي يضع نفسه في الخدمة هو أداة بين يدي الله لكي يُظهر حضوره وخلاصه. هذا ما يذكّر به القديس بولس عندما كتب إلى مسيحيي كورنثوس، الذين تنافسوا فيما بينهم حول المواهب باحثين عن أرقاها: "فَلا تَستَطِيعُ العَينُ أَنْ تَقُولَ لِليَدِ: «أنا لا أحتاجُ إلَيكِ،» وَلا يَستَطِيعُ الرَّأْسُ أَنْ يَقُولُ لِلقَدَمَيْنِ: «أنا لا أحتاجُ إلَيكُما»." (1 كو 12: 21). يعطي الرسول اعتبارًا مهمًا من خلال ملاحظة أن أعضاء الجسم الَّتِي نَعتَبِرُها أضعَفَ مِنْ غَيرِها هي الأكثر ضرورة (راجع الآية 22) ؛ وتلك التي "نَعتَبِرُها الأقَلّ مَنزِلَةً، هِيَ الَّتِي نُعامِلُها بِعِنايَةٍ أكبَرَ، وَالأعضاءُ الَّتِي نَعتَبِرُها الأقَلّ مَنزِلَةً، هِيَ الَّتِي نُعامِلُها بِعِنايَةٍ أكبَر، أمّا أعضاؤُنا الأكثَرُ اعتِباراً فَلا تَحتاجُ إلَى مُعامَلَةٍ كَهَذِهِ " (الآيات 23-24). وفي الوقت الذي يقدّم فيه بولس تعليماً أساسياً عن المواهب، يقوم أيضاً بتثقيف الجماعة حول الموقف الإنجيلي تجاه أضعف الأعضاء وأكثرهم احتياجاً. إن على تلاميذ المسيح الإبتعاد عن إظهار مشاعر الازدراء والتقوى تجاههم؛ وهم بالأحرى مدعوون لمنحهم الشرف ، لمنحهم الأولويّة ، مقتنعين بأنهم حضور يسوع الحقيقي بيننا. " كُلُّ شَيءٍ عَمِلْتُمُوهُ لِأَحَدِ إِخْوَتِي الضُّعَفاءِ فَإنَّما قَدْ عَمِلْتُمُوهُ لِي (متى 40:25).

8. هنا بالإمكان الفهم كيف تختلف طريقة عيشنا عن طريقة عيش العالم، الذي يشيد ويتبع ويقلّد أولئك الذين يملكون السلطة والثروة ، بينما يعمد إلى تهميش الفقراء ويعتبرهم مهملات وعار. إن كلمات الرسول هي دعوة لإعطاء ملء المعنى الإنجيلي للتضامن مع الأعضاء الأضعف والأقل موهبة في جسد المسيح: " فَإنْ كانَ أَحَدُ الأعضاءِ يَتَألَّمُ، فَكُلُّ الأعضاءِ تَتَألَّمُ مَعَهُ. وَإنْ كانَ أَحَدُ الأعضاءِ مُكَرَّماً، فَكُلُّ الأعضاءِ تُكَرَّمُ مَعَهُ"(1 كو 12: 26). بنفس الطريقة ، في رسالته إلى أهل روما يحضّنا: " افرَحُوا مَعَ الفَرِحِينَ، وَاحزَنُوا مَعَ الحَزانَى . عِيشُوا فِي انسِجامٍ بَعضُكُمْ مَعَ بَعضٍ. وَلا تَتَكَبَّرُوا (2 : 15-16). هذه هي دعوة تلميذ المسيح؛ المثل الأعلى الذي يجب أن نسعى باستمرار إلى أن نتبنّى " فِكرَ المَسِيحِ يَسُوعَ نَفسَهُ " (فيليبي 2: 5).

9. كلمة الرجاء تصبح الخاتمة الطبيعية التي يوجّه إليها الإيمان. غالباً ما يقوّض الفقراء على وجه التحديد عدم اكتراثنا ، كنتيجة لرؤيتهم للحياة بطريقة حتميّة للغاية ومرتبطة بالحاضر. إن صرخة الفقراء هي أيضاً صرخة رجاء يُظهرون من خلالها اليقين بأنّهم قد تحرّروا. رجاء يقوم على محبّة الله الذي لا يترك أبدًا الذين يتَّكلون عليه (راجع رومية 8: 31-39). كتبت القديسة تريزيا الأفيليّة في كتابها "طريق الكمال": الفقر هو خير يحمل في داخله جميع خيور العالم ويعطينا سلطة كبيرة ويجعلنا أسيادًا لجميع الخيور الأرضيّة منذ اللحظة التي يجعلنا نحتقرها " (2 ، 5). وبالتالي بقدر ما نصبح قادرين على تمييز الخير الحقيقي نصبح أغنياء أمام الله وحكماء أمام أنفسنا والآخرين. وهكذا فقط وبقدر ما نتمكّن من أن نعطي المعنى الحقيقي والصحيح للغنى ننمو في بشريّتنا ويصبح بإمكاننا عيش المشاركة والمقاسمة.

10. أدعو إخوتي الأساقفة والكهنة ولاسيما الشمامسة الذين نالوا وضع الأيدي من أجل خدمة الفقراء (راجع أعمال 6: 1-7)، مع المكرّسين والعديد من العلمانيين والعلمانيات الفاعلين ضمن الرعايا والجمعيات والحركات التي تجعل جواب الكنيسة لصرخة الفقراء ملموسًا، لكي يعيشوا هذا اليوم العالمي كلحظة مميّزة لبشارة جديدة. إن الفقراء يبشِّروننا إذ يساعدوننا لكي نكتشف جمال الإنجيل يوميًّا، فلا نسمحنَّ إذًا بأن تذهب هذه الفرصة سدى، ولنشعر جميعًا، في هذا اليوم، أننا مدينون لهم، لأننا عندما نمدُّ أيدينا لبعضنا البعض يتحقق اللقاء الخلاصي الذي يعضد الإيمان ويجعل المحبّة فاعلة ويتيح للرجاء أن يتابع أكيدًا في المسيرة نحو الرب الذي يأتي.

من حاضرة الفاتيكان ، 13 حزيران / يونيو 2018
يوم عيد القديس أنطونيوس البادواني